الصهيونية وغاياتها

لحضرة الدكتور فرنتس كسافيه

(المشرق) سبق لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٦٨-٧٧٨) مقالٌ مطوّل عن الصهيونيّة ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وها قد اتحفنا احد اصحابنا في فلسطين الدكتور فرنتس كسافيه بمقالة جديدة تتناول احوال الصهيونيّة خصوصاً بعد الحرب الكونيّة ومصادقة جمعيّة الامم على مواعيد بلفور لتجعل فلسطين وطناً قوميّاً لليهود . فنشرها شاكرين لحضرته وهو عالم حقّ العلم بامور الصهيونيّة ومختلط باهلها ومطّلع على اخصّ كتاباتها . قال حضرتهُ :

مبادئ الصهيونيّة

كان مقصود الصهيونيّة في اوائلها ان تجمع اليهود المتفرّقين تحت كل كوكب في بلاد خاصّة بها . فما لبث زعماؤها أن أحسّوا بما يحول دون ادراك هذه الغاية ومن ثمّ اعتبروا بأن يُنشئوا للصهيونيين كلّ ما يمكن من المصانع والمستعمرات ولاسيما في فلسطين والبلاد المجاورة لها . فحصل بذلك منازعات بين اليهود المستوحنين البلاد واليهود الصهيونيين تغلّب عليها الاميركيّون بما دفعوهُ من الاموال الطائلة لمساعدة الصهيونيّين فانشأوا لهم قبل الحرب في فلسطين المعاهد الواسعة . منها مدرسة في اورشليم لتهذيب المعلّمين ومدرسة تجاريّة . واقاموا لهم في حيفا مدرسةً فنيّة اوقفت الحرب إنجاز مبانيها وهي اليوم تامّة الاهبة . وأسّسوا في يافا المكتب المعروف بمكتب تيودور هرتسل وجهّزوا لهم مطابع تنشر الجرائد العبرانيّة وكتباً أخرى

الصهيونيّة بعد الحرب

كان عدد الصهيونيّين قبل الحرب قليلاً بالنسبة الى اليهود الوطنيّين ولم يزيدوا على ٣٠٠٠٠ في عامّة انحاء فلسطين . فما تمّ هذا العدد ان نما في زمن الحرب . ومن بعده نموّاً عظيماً حتى انهُ ينيف اليوم على المليون (واليهود في العمور يتراوحون بين ١٣ الى ١٥ مليوناً) . وقد نال زعماؤهم للانكليز كالدكتور فيسمان وسبركولوف ان يصدّق

بَلفور بتقريرهِ الصادر في٢ت٢سنة ١٩١٧ رغبتهم في ان يجعلوا فلسطين موطناً قومياً لذويهم وأعلن رسمياً باسماء زعمائهم . وقد دفعت انكلترَّة دولتَي فرنسة وايطالية الى قبول هذا القرار فأثبتَتاه مع كونهِ مجحفاً بحقوقها الراهنة على الاراضي المقدَّسة . فما لبث ان تحقَّق فعلاً بعد انتداب انكلترَّة على فلسطين

طار الصهيونيُّون فرحاً لهذه القرارات وأمَّاوا وضع يدهم قريباً على انحاء البلاد لكنهم وجدوا في طريقهم سكَّانها العرب من مسلمين ونصارى يبلغ عدد الاوَّلين ٥٨٣،٠٠٠ نفساً والآخرين ٨٥،٠٠٠ وكلُّهم يد واحدة للدفاع عن حقوقهم بازاء الدخلاء من اليهود الذين زعمت انكلترَّة رسمياً انَّ عددهم كان في السنة ١٩٢٢ ثمانين الفاً . فتحفَّزوا لردّ غارات المهاجرين فحصلت بين الفريقين مناوشات شتَّى في القدس الشريف وفي يافا وفي المستعمرات الاسرائيليَّة سالت فيها الدماء . وخصوصاً في شهر أيار من السنة ١٩٢١ في مستعمرة « فتح تقوى » حيث تداخل الجند البريطاني في القتال فنفذوا بين المقاتلين بالسيَّارات المصفَّحة واطلقوا عليهم القذائف فاسفر النزاع عن ٩٥ قتيلاً منهم ٤٨ عربياً و ٤٧ يهودياً وعن ٢١٩ جريحاً مع ضرب الصفح عمَّن اختلسهم اصحابهم فدفنوهم سرّاً . وكانت نتيجة القتال توقيف الهاجرة مدَّة الَّا انَّ قرار بلفور بقي ثابتاً لكنَّ انكلترَّة حصرت نوعاً تحديدها للفظة « الوطن القوميّ » وافهمت بذلك اصحابها الصهيونيين انَّهم تجاوزوا الحدود . فقطن الصهيونيُّون للامر واخذوا حِذرهم من العرب وحاولوا التقرُّب اليهم . لكنَّ ذلك لم يثنِ عزمهم عن ما توخَّوهُ من تحويل فلسطين الى دولة يهوديَّة

مساعي الصهيونيين في اقتناء الاملاك

يفرغ الصهيونيُّون اليوم كنانة جهدهم لاقتناء ما امكنهم من الاملاك في انحاء فلسطين ليوفروا بذلك عدد اليهود المهاجرين اليها . وهم يحقّقون رغبتهم فعلاً بما يسلفهم من المال المصرفُ الوطني الاسرائيليّ والمصرف اليهودي البنائيّ . واليهود يعتبرون ارض فلسطين كملكهم الخاصّ اغتصبها منهم الاجانب فيجب استفكاكها من يدهم فلذلك يدعونها في لغتهم بارض الفدى التي يلزم تزعُها من مالكيها . فالمصرف الوطنيّ الاسرائيليّ يدفع اليهود الى استملاك الاراضي بطريقة خفيَّة وهي

على قولهم «وقفٌ لاسرائيل ابديّ لا يجوز تبديلهُ» ثمّ يتبعهُ المصرف البنائيّ فيحمل اليهود في كلّ اصقاع على المهاجرة الى فلسطين ويسهّل لهم السفر على نفقتهِ ثم يساعدهم على الاستمار والاستيطان في مواطن اجدادهم بعد نزعها من ايدي الغرباء وتهويدها. فتلك هي الغاية التي يتوخّاها الصهيونيّون بتنمية الاستمارات اليهوديّة وتقرير اصحابها نهائيًا في فلسطين

واعلم انّ في فلسطين حاضرًا ٨٢ مستعمرة يهوديّة منها ٣٥ قد انشأها المصرف البنائيّ في هذه السنين الثلث الاخيرة ففي السنة ١٩٢٣ انفق لهذه الغاية ٨٠،٠٠٠ ليرة انكليزيّة وفي السنة الماضية بلغت هذه النفقات ١١٥،٠٠٠ ومن ثم ترى انّ المصرف البنائي صلةٌ للمصرف الوطني يتعاضدان ويتكاتفان. فهذا الاخير يجدُّ في استملاك الارض بما يتبرّع بهِ من المال. وذاك يسعى بتعمير الابنية وبُكناها وانّما يدفع لذلك ما يعشّره من مال اليهود. فبواسطتهِ تُنشأ المستعمرات وتُجهّز بكل لوازم المعاش وتُبنى المدارس وتُفتتح المعاهد المختلفة وتُعبّد الطُّرق الخ. وهذا المال يجمعهُ زعماء الصهيونيّة في كلّ انحاء المعمور. وبينما انا ادوّن هذه الاخبار علمتُ بان الصهيونيّ اوسيشكين (Ussischkin) يطوف في انحاء اوربة ليجمع هذا المال تاركًا لزعيمهم ڤيزمان (Weizmann) ان يقوم بهذه الخدمة في اميركا. وخلاصة خطبهِ انهُ يجب على كلّ اسرائيليّ ان يدفع قسطهُ من المال لفادات فلسطين ولتعمير ارض الميعاد. بل يتحتّم عليهِ ان يحتال لدى غيرهِ بجمع المال المذكور. وقد ذكر ربّي ابراهام اسحاق كوهن حاخام ارض اسرائيل عريضةً في رأس السنة الاسرائيليّة في غرّة تشرين الاوّل يحضُّ كلّ اليهوديين المتفرّقين في العالم باسم الجمعيّة الوطنيّة ويدعوهم الى مساعدة المصرف الوطني ليتمّ بأقرب وقت افتداء الاراضي المقدّسة من ايدي الغرباء. (מידי בוראכער)

تصريحات الصهيونيين في ياد غاياتهم

ودونك ما كتبهُ مؤخّرًا زعيم الصهيونيّين أوسيشكين في احدى مجلّاتهم عن افتداء اليهود للاراضي المقدّسة (١ قال :

١) اطلب مجلّتهم Jüd. Presszentrale, Zürich, *n° 307, 28 Août, 1924*

« انّ فلسطين حاضرًا تسير نموًّا سريعًا من جهة السياسة ومن جهة الاقتصاد فمن الواجب اللازب ان شئنا ضمان مستقبلنا ان نسعى في امتلاك اراضيها . لأنّ الاوطان للأكّي ارضها وسكّان قراها المتأصلين في تربتها دون سكّان مدنها . وعلى هذه الصورة ترى بلاد تشيكوسلوفاكية وليتوانية وليتونية قد صارت لاهلها التشيكوسلوفاك واللتوانيين والليوتيين اصحاب قراها وارضها مع انّ معظم اهل مُدُنها من العنصر الالماني والروسي الخ . فان لم نمتلك نحن ايضًا اراضي فلسطين ونستعمرها بانشاء القرى فيها فلا أمل من ان نجعل فلسطين وطنًا لنا وستبقى عربيّة . فيتحتّم اذن علينا قبل كلّ شيء ان ننشئ القرية اليهوديّة . وهذه مهمّة جليلة وخطيرة تستدعي الضحايا الماليّة الباهظة ثم تلزم اليهود ان يعودوا الى حياتهم القديمة من فلاحة واستثمار بعد ان فقدوها منذ تشتّتوا بين الامم وفقدوا وطنهم الاصلي . فلندع للافراد من اليهود ان ينشئوا لهم «المدينة اليهوديّة» اما نحن الصهيونيين فلنبادر الى تعمير « القرية اليهوديّة» . نعم انّ لنا في فلسطين ثمانين قرية واغلّ هذا بدء العمل . فمن الواجب الحصول على الاملاك حاضرًا ولا نؤجّل عملنا . فليس صعبًا على اليهود عاجلًا او آجلًا ان يتكرّوا التجارة والصناعة والتعليم ويتظلّموا بمئات المهاجرين فلا بأس ان ابطأوا في هذه الاعمال المنوطة بارادتهم . امّا امتلاك الاراضي فليس هو في وسعنا وانّما هو منوط بالبائع . اترى نستطيع اليوم ان نقتني املاكًا واسعة في سويسرة وهولندة وبلجيكة ولو حصلنا على مليارات من المال؟ . فهكذا يقال ايضًا عن فلسطين أن تأخّرنا عن ابتياع اراضيها . فاليوم الامر سهلٌ والفرصة مناسبة وسيضيع غدًا من المحال . ولاسيما انّنا نرى الترب قد انتبه فكرهم الى صالحهم واخذوا يشترون بوجداتهم ومن ثمّ فحسب كلّ تأخير في امتلاك الاراضي الفلسطينيّة كجرم لا يُغتفر

وقد صرّح الكاتب نفسهُ عمّا اراد بقوله « ان الفرصة اليوم مناسبة » قال :

« مساحة الارض في فلسطين تبلغ عشرين مليونًا من الدونم (الدونم ٩٦٤ مترًا مربّعًا و ٦٥ سنتيمترًا) فللحكومة منها ثلثون في المائة و ٣٥ املاك للفلّاحين ومثلها للملّاكين الاغنياء . وكان املنا ان تمنحنا الحكومة اراضي واسعة فخاب ذلك الامل . فلا يبقى الّا الاقطاعيّة الاغنياء الذين لا يأبون بيع املاكهم من مشتريها ان وجدوا ربحًا في بيعها . وغايتنا خاصّة امتلاك سهل اسدرلون (مرج عامر) وسواحل البحر والبلاد الممتدّة بين يافا والقدس »

ثمّ اردف قائلًا :

« ولا بُدّ من السرعة لانّنا ان تأخّرنا ولم نستحضر حالًا مبالغ طائلة تفوتنا الفرصة الموافقة ولن نعود نحصل على الاراضي المرغوبة فيصيبنا في فلسطين ما يصيبنا في بقيّة البلاد اكّنا نبقى منفردين في احيائنا (Ghetto) . وليس الغاية من سعي الى انحاء المعمور الّا لأنقذ بني جلدتي الصهيونيين وغيرهم من هذا الخطر الجسيم . والمصرف الوطني اليهودي يمثّل شعب اسرائيل لمساعدة افتداء الوطن . ولم يبتدئ بجدّ الشغل الّا من ثلث سنين لانهُ في القسمة عشر عامًا السابقة لم يستخلص الّا ٢٠,٠٠٠ دونم وكان همّهُ الوحيد الاستثمار . امّا في السنين الثلث الاخيرة فانّهُ افتدى ٩٠,٠٠٠

دونم لوضع اساس مشروع الوطن الاسرائيلي في سهول يزرعيل (بني عامر) . ونرادنا اليوم ان نجمع نصف مليون ليرة انكليزية لنشتري مئة الف دونم من الاراضي التي ينبغي استغلالها . وأمّلي أن أحصل منها في اوربّة على مئتي الف ليرة ومثلها في الولايات المتحدة . فيبقى مئة الف سأجمعها من كندا والارجنتين وافريقية الشماليّة والجنوبيّة ومن فلسطين وسوريّة . وقد باشرنا بتحقيق نيّتنا في اوائل شهر آب من هذه السنة ١٩٢٤ اذ اقتديناه ٤٠٠٠ دونم من سهول يزرعيل . . ونتفوز ان شاء الله بالبقيّة المنشودة ونشتري مئة الف دونم »

فنرى من هذا الكلام ان غاية اليهود القصوى وضع يدهم على فلسطين فاذا ملكوا اراضيها اصبحوا ملوكها تما ينشئونهُ من القرى والمزارع فتخرج من ايدي اصحابها العرب

ومن ثمّ يلوح ان مستقبل فلسطين هو اليوم في ايدي العرب لاسيما الافندية من كبار الملاكين الذين يطمع اليهود في ارزاقهم

العوائق في سبيل الصهيونية

ولكن ان حسبنا قيمة ما في يد هؤلاء الملاكين بالقيمة ٣٠ مليوناً من الليرات الانكليزيّة رقيمة ما تمسكهُ الحكومة مادياً لهذا الثمن بل بالقاً الى ٦٠ مليوناً فيلزم الصهيونيّين لوضع يدهم على املاك فلسطين ان يجمعوا مليارًا ونصف من الفرنكات الذهبيّة . وليست هذه القيمة سهلة الوجود . فمن المرتاب ان يدرك الصهيونيّون غايتهم

وزد على ذلك انَّ المهاجرين من اليهود الى فلسطين مع كثرتهم وتسهيلات الحكومة في استقبالهم لم يبلغ عددهم ما كان يؤمّلهُ زعماء الصهيونيّة . فانّهم كانوا ينتظرون للعشر السنين بعد انتداب انكلترّة على فلسطين مئتي الف مهاجر وفي الاحصاء الرسميّ انّهم منذ سبع سنين اربعون الفاً فقط ويدخل في هذا العدد خمسة آلاف منهم كانوا في فلسطين قبل الحرب فيكون عدد الواردين ٣٥،٠٠٠ ومن هؤلاء ١٨،٠٠٠ فقط يشتغلون بالاستثمار . والباقون (١٧،٠٠٠) حلّوا في تلّ ابيب (Awiw) وفتحوا لهم دكاكين صغيرة وقهاوي يبيعون فيها « الغازوزة » ويضطرّون الناس الى رفع ثمن ايجار البيوت ويعرقلون معاش السكّان السابقين ويلجئونهم الى مغادرة البلاد

ثمَّ ليس المستعمرون كلهم من ذوي الجدارة فانَّما اغلبهم تجَّار وكتبة وادباء اخذوا على نفسهم الشغل بالاستعمار ليس طبعاً بل تطبُّعاً تنشيطاً لفكر الصهيونيين . . وهيهات ان يثبتوا على ذلك زمناً طويلاً وان ثبتوا فمَنْ يضمن لنا ثبات اولادهم من بعدهم . ولذلك ترى زعماء الصهيونيَّة ممتعضين من الامر يشكون همَّة المهاجرين في تحقيق نيَّاتهم . وما لا شكَّ فيهِ انَّ اليهوديّ لا يحبُّ السكنى في القرى وان سكن فيها مدَّة غادَرَها ان وجد فيها أدنى مشقَّة فيدلهـا بالتجارة الصغيرة . وكثيرون منهم يقدمون الى فلسطين ورأسُ مالهم من مئة الى ثلثمائـة ليرة انكليزيَّة ومن ساعتهم يبتنون لهم بيتاً بالدَّين ان امكنهم ثمَّ يفتحون دكَّاناً يبيعون فيهِ جبناً او ابازير او يتَّخذونهُ للعلاقة والتزيين

فلا بُدَّ اذن ان يمضي زمن مديد قبل ان يبلغ عـدد اليهود المحتلّين في فلسطين مليوناً فكم ينبغي لذلك من المصاريف التي سيتكلَّفها المصرف البنائي اليهوديّ فلا غرو انَّها ستبلغ الملايين العديدة من الليرات . ومهما كان اليهودي ذا ثباتٍ في مقاصده ولو مرَّت عليهِ مئات السنين لا بُدَّ ان اليهود المنبثين في العالم سينفرون عن دفع هذه الاموال دون طائل وافادة (١

الصهيونية السياسية

من المعلوم انَّ الصهيونيَّة الاقتصاديَّة استعداد للصهيونيَّة السياسيَّة ليصير الحكم في فلسطين لدولة يهوديَّة . لكنَّنا نشك في نجاح هذه كما شككنا في نجاح تلك . وذلك لان الصهيونيَّة السياسيَّة لا يمكنها ان تستغني عن القوَّات البريطانيَّة والجيشُ البريطاني يكلّف الصهيونيين ملايين من الليرات الانكليزيَّة فوق ما يتكلَّفونهُ للمهاجرين . فانَّ نفقات هـذا الجيش بلغت في السنة ١٩٢٢ مليونين من الليرات وفي

---

(١) وقد اقرَّ الصهيونيُّون في المؤتمر الثالث عشر الذي عقدوهُ في كرلسباد سنة ١٩٢٣ انَّ عدد اليهود المهاجرين سنويًّا الى فلسطين يتراوح بين ٦ الى ٨ آلاف نفسة . وقالوا « اننا نعجز عن بقاء هذا العدد السنوي ما لم يتبرَّع المحسنون عليهم بمبالغ اعظم . وليس لدينا الوسائط لنقدّم للمهاجرين معاشهم وما يحتاجون اليهِ من الوسائل للفلاحة والتجارة والصناعة . واغلبهم لا مال في يدهم »

١٩٢٣ اكثر من مليون ونصف

فكلّ هذه الاعتبارات تكشف لنا الستار عن احوال الصهيونيّين السيّئة فهما سعوا بتعبية خزائنهم الماليّة وبالقيام بالمشاريع الحاضرة فانّ ذوي العقول الراجحة لا يؤملون خيرًا من مساعي الصهيونيّين وقد وجدنا في كتابات بعضهم اقرارات مثل هذه «انّنا مشرفون على أزمةٍ وافلاس لم يحصل مثلهما حتى الآن في تاريخ الصهيونيّة»

اكان اليهود في حاجةٍ الى موطن قومي ؟

هذا سؤال نختم به مقالنا وقد اجاب عليه السنيور الايطالي تريتوني في كتاب حديث عنوانهُ «الصهيونيّة ومشاكلها السياسيّة في فلسطين (١ قال المؤلف : «لا يخفى على احد انّ اليهود منذ نحو الفي سنة لا دولة تجمعهم . فانهم متشتتون بين كل الامم يتمتّعون فيها بذات الحقوق والواجبات التي لاهلها ولا يفترقهم عنها سوى دينهم اي شريعتهم والتلمود . لكن الدين في عُرف الصهيونيّين كما في عُرف معظم الدول الحاضرة هو امر الضمير الخاص . ومن ثمّ ليست غايتهم إحياء «اليهودي الديني» بل إنعاش «اليهودي الوطني» وقد توالى في التاريخ ذكر أمم تلاشت من الكون انما ذكرهُ لأمّةٍ قامت من قبرها فذلك مما يجهلهُ التاريخ تمامًا . فيجب اذن القول بانّ الدولة اليهوديّة ان تمّ انشاؤها فعلًا ستكون كبقيّة الدول مجرّدة عن الدين فيعيش فيها اليهوديّ الموسويّ واليهوديّ النصرانيّ واليهوديّ الملحد واليهوديّ البروتستانت واليهوديّ الملحد كما ترى في انكلترة مثلًا الانكليزيّ البروتستانت والانكليزيّ اليهوديّ والانكليزي الكاثوليكي . فان قال الصهيونيّون : كلّا لا يدخل في هذه الدولة الّا المتديّنون من اليهود الجارين على سُنن دينهم اجيبهم : أتطردون من دولتكم المنتظرة الالوف المؤلفة من اليهود الاحرار الفكر المتشيّعين لكلّ الآراء العصريّة؟ أفلطلّكم تفعلون كما فعل اجدادكم في زمن المسيح اذ تهدّدوا كلّ من يؤمن به ان يطردوهُ من مجامعهم ؟»

ولا يذهلنّ احد عن حالة اليهود في فلسطين قبل اعلان بلفور فانّهم كانوا فيها

(١ Tritoni : Il Sionismo e le sue difficolta politiche in Palæstina

كغرباء. فان مُنحوا الآن وحدهم حقّ السكنى فيها كوطنيّين مع قلّة عددهم وقع الظلم في مجمل حقوق الاكثريّة الذين كانوا اهل البلاد الشرعيّين اعني العرب المسلمين والنصارى. فتفضيل اليهود عليهم بجعلهم وطنًا قوميًا جرحٌ أليم في نفوسهم وخطر دائم على استقلالهم لا يستطيعون غضّ الطرف عنها مهما اجتهدت الدكلترة بان تلطّف معنى الوطن القومي. فانّ الصهيونيّين يطنون جهارًا بنيّاتهم الصحيحة. ولا أمل البتّة في امتزاج العنصرين العربي واليهودي طالما يعتبر اليهود انفسهم كالشعب المختار والعنصر الاشرف ويعتبرون سواهم دونهم رتبةً. والتاريخ اليهودي قد بجّن في عقولهم ما رواهُ سفر التكوين انّ اسمعيل واسحاق لا يستطيعان المعاش في بيت واحد

وكما انّ الصهيونيّة خطرٌ على العرب المسلمين كذلك خطرها على النصارى واضح وهم يكرمون فلسطين كموقع الاراضي المقدّسة التي قدّسها السيّد المسيح فلو صار الامر في حوزة اليهود أفيُبقون شيئًا ممّا يكرمهُ النصارى؟ وقد رأينا في هذه الآونة الاخيرة الشتائم التي وجّهها بعض اليهود لشخص ابن الله فثاروا عليهم بذلك بغض النصارى والمسلمين معًا فقامت الاحتجاجات في كلّ ناحية على وقاحة دوار هيوم ولم يسكتوا حتى برز الحكم على صاحب تلك الجريدة بغرامة ماليّة وتخطئة كلامهِ البذيء

الختام

فخلاصة الكلام انّ الصهيونيّة خطر مستديم. وليس من وسيلة لإخماد الحركة العربيّة ما دام الصهيونيّون يسعون الى انشاء وطن قومي في فلسطين. وهذا ممّا يلوح كلّ سنة في التظاهرات والاحتجاجات التي يقيمها الاهلون برصانة وثبات في ثاني يوم من شهر تشرين الثاني الذي فيهِ اعلن بلفور قرارهُ المشئوم. ولا امل لليهود انّ يعيشوا يومًا بامان تامّ في موطنهم هذا. وكلّهم ولو بلغ عددهم مئات الوف سيُعتبَرون كشوكة اليمة في عين عرب فلسطين. يشاركهما في نفورهما كلّ عقلاء الاوربيّين. وانّهُ لضلال مبين سعيُ القيّمين بتنشيط الصهيونيّين في مساعيهم وتسهيل المهاجرة الزائدة لليهود نحو فلسطين. ولا بُدّ ان تخيب يومًا آمالُ الصهيونيّة السياسيّة. وعلى كلّ حال انهُ لمستحيل ان تُحَلّ المسألة اليهوديّة على هذا المنوال بل ستزيد ارتباكًا وخللًا انار الله بصائر الساعين بهذه الفكرة المشئومة